مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد08 / العـدد: .02(2024)، صص78-89

انتشار الإسلام في السودان الغربي

The spread of Islam in Western Sudan

عبد الكريم قرين*
جامعة 8ماي 1945م قالمة الجزائر
karimgrine.55@yahoo.com

تاريخ القبول: .01./02/...2024 تاريخ الاستلام: 13/.06./.2024

الملخص:

إن البحث في موضوع انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي و ما تترتب عليه من نتائج اجتماعية وسياسية واقتصادية تغيرت من خلالها السمات العامة تغيرا شاملا على ما كانت عليه القارة السمراء من قبل.كما أن حركة انتشار الإسلام في إفريقيا الغربية و ما أحدثه من تغيرات سواء من ناحية الفردية أو الجماعية بالنسبة للمجتمعات الإفريقية على اختلاف تنوعاتها والتي كانت محل ناقش و اهتمام وجدال بين الكتاب والباحثين والمؤرخين والمهتمين بالدراسات التاريخية الإفريقية، وقد تعددت وتنوعت هذه الآراء واختلفت، فنمها من تحاملت على حركة تسرب الإسلام وكيفية انتشاره مرد ذلك أن السيف هو الذي وسع حركة انتشاره ومنها من أعجب بطريقة تسرب الإسلام في إفريقيا السوداء .و لذلك ارتائينا اختيار هذا الموضوع لنتعرف على مدى انتشار الإسلام في هذه الرقعة من العالم وطرق انتشاره.

الكلمات المفتاحية

الإسلام، السودان، الغربي، افريقيا، جنوب، الصحراء، انتشار، القارة، السمراء، الافريقية.

A Abstract: a The research is on the subject of the spread of Islam in the countries of Western Sudan and the social,political and economic consequences that resuled from it through which the general characteristics changed comprehensively from what the African continent was before.Also..the movement of the spread of Islam in Western African the and the changes it brought about. both in terms of The aspect of individualisme or collectivismes in the relation of african societies. of all their diversities, which has been the subject of discussion, interest and controversy among writers, researchers , historians and those interested in African historical studies. These opinions have been many and varied and differed .Somme of them were pregudiced against the movement.of nfiltration of Islam and how it spread .This is because the sword was the one that expanded the movement Its spread ,including those who were impressed by the way Islam seeped into Black Africa.Therefore,we decided to choose this topic in order to learn about the extent of the spread of islam in this part of the world and ways of its spread.

Keywords: Islam, Sudan, Western, Africa, South, Sahara, spread, continent, Africa.

*عبد الكريم قرين

مقدّمة:

يعتبر أي تغير اجتماعيا أو ثقافيا من المسائل البدهيه في حياة أي جماعة إنسانية موجودة على وجه هذه الأرض، على أن هذا التغير محكوما بقوى داخلية أو خارجية تؤثر عليه سلبا وإيجابا. ولقد كان الإسلام ولا شك من القوى الخارجية الهائلة الأثر في مجال التغير الثقافي والاجتماعي في غرب إفريقيا، وكان محور التغير الإسلامي العقيدة الجديدة التي انبثقت منها روافد البعث الشامل في كل وجه حياة الإنسان ومدى التغير الاجتماعي والثقافي الذي أدخلته هذه العقيدة الوافدة على بلاد السودان الغربي. [1]

اهتمت الدول القديمة بالقارة الإفريقية، فكانت دولة الفراعنة في مصر من أوائل تلك الدول، وقد ثبت أدلة علاقاتها المؤكدة مع إفريقيا جنوب الصحراء وبلاد السودان الغربي، كما كان لبلاد الإغريق تجارب أضيق مع غرب إفريقيا، فيذكر أنهم وصلوا في عهد هوميروس أعمدة هرقل (جبل طارق)، ويؤكد هيرودث أن بعضهم جاب منطقة ما خلف الصحراء الغربية ووصلوا إلى بلاد النسمونين، وهم من قبائل السود الذين يسكنون وسط إفريقيا

ويذكر في كتب الرحلات البحرية اليونانية في القرن الرابع قبل الميلاد أن جزيرة cerne كانت معلم جغرافيا هاما في غرب إفريقيا ووصف تجاري بأنها سوق تجاري كبير يتعامل فيه القرطاجنيون والإفريقيين الدين يسكنون الساحل المقابل، ويتبادلون جلود الغزلان والأسد والفهد وجلد الفيل والكثير من السلع الأخرى.

وانطلاقا من هذا نطرح الإشكالية الجوهرية، كيف توغل الإسلام في السودان الغربي، وماهي الطرق والوسائل التي ساعدت على انتشاره؟

1-الإسلام في غرب إفريقيا (السودان الغربي):[2]

1-1 بلاد السودان الغربي:

قبل الحديث عن انتشار الإسلام في إفريقيا الغربية أو السودان الغربي لابد الإشارة لمفهوم السودان تاريخيا وجغرافيا، يقال ان العرب هم أول من أطلق هذه الكلمة على بلاد السودان وهي الأقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى إلا أنهم كانوا يطلقون هدا الفظ في كثير من الأحيان على كل السود الإفريقيين، الذين يسكنون في بعض المناطق الصحراوية، وكما يتضح من الرسالة التي كتبها الجاحظ ، والتي سماهاً فخر السودان على البيضان"أنهم يقصرون لفظ السودان على ذلك الجزء الواقع في غرب إفريقيا[(3)]،وذكر ابن النديم المتوفى سنة(380هـ/990م)، فكتب فيه هذا الشأن كتاب تحت عنوان الكلام على السودان مايلي : فأما أجناس السودان من النوبة والبجة، والزغاوة والاشتان والبربر وأصناف الزنج ،سوى السند فأنهم يكتبون بالهندية المجاورةً.[(4)]

1ـ 2 مفهوم السودان الغربي عند الرحالة:

كثير هم الرحالة الذين أطلقوا كلمة السودان، فكان من بينهم الرحالة المشهور و المعروف البكري في كتابه المسالك و الممالك في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا، الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة على النيل شرقا، واعتبر مدينة سجل ماسة مدخلا إلى بلاد السودان. [(5)]وذكرها ابن حوقل بقوله: " أما جنوبي الأرض من بلاد السودان فان

---

(1) علي الخاتم،" الإسلام في السودان الغربي أثارهـ السياسية و الثقافية." ، **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الأول، 1985م، ص،181.

2 **نفسه**، ص،181

3 عمربن بحر محبوب الكناني بالولاء الليثين أبو عثمان، الشهير، بالجاحظ، المتوفى، 255ه، كتاب **فخر السودان على البيضان رسائل الجاحظ، القاهرة**، 1906م، ص، 54.

4 محمد بن أبي يعقوب إسحاق أبو الفرج، المعروف بالوراق، **الفهرست**، تحقيق رضا تجدد، ص ،28. .

5 ابو عبد الله بن عبد العزيز البكري، **كتاب المسالك و الممالك**، تحقيق، أدريان فان ليؤمن، وأندري فيري،دارالعربية للكتاب، تونس،1992م، ص، 837.

بلدهم في أقصى المغرب على بحر المحيط بلد ملتف... غير أن له حدا ينتهي إلى البحر المحيط وحد له ينتهي إلى البرية بينه وبين ارض المغرب وحد له إلى برية بينه وبين ارض الواحات.[6] ،وحسب مفهوم الاصطخري أن بلاد السودان تعني كل بلاد السود أي أصحاب البشرة السوداء في هذا الحزام الممتدة في قلب القارة من الغرب إلى الشرق وصار اسم السودان الغربي قاصرا على المنطقة شبه الصحراوية التي انتشر فيه الإسلام والتي تعرف الآن بغرب إفريقيا، وظل اسم السودان الغربي شائعا حتى القرن التاسع عشر. ".[7] وبعدها أصبح مفهوم بلاد السودان يشمل كل المنطقة الواقعة جنوب الصحراء وهذا ما ذهب إليه القلقشندي حيث حدد بلاد السودان من الغرب بالبحر المحيط ومن الشرق ببحر القلزم[8]،ويفصل ذلك بدقة في ست ممالك، يحدد بلاد السودان بقوله: أنها تحد بلاد التكرور من الشرق، ثم يكون حدها من الشمال بلاد افريقية ومن الجنوب بلاد الهمج.»[9]

وخلاصة القول أن غرب إفريقيا أو السودان الغربي هي المنطقة الممتدة من بحيرة تشاد في الشرق حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب وتقع عند خط عرض17.9 شمال خط الاستواء على وجه التقريب، وهي مساحة تبلغ مليون ميل مربع، وهي المنطقة التي عرفها الكتاب العرب في رحلاتهم على أنها البلاد التي يحدها بحر الظلمات(المحيط الأطلنطي) من الغرب وحدود بلاد الحبشة الغربية من الشرق، وحسب هذا المفهوم يمتد السودان الغربي من ساحل السنغال حتى حدود نيجيريا الشمالية، ونقطة ارتكازه هي حوض السنغال وحوض نهر النيجر الأعلى والأوسط.[10]

2- انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

يرى بعض مؤرخي الغرب، وخاصة النزهاء منهم إلى أن الإسلام هو الذي فتح باب التاريخ لإفريقيا السوداء. أما قبل الفتح الإسلامي، فتاريخ إفريقيا لم يبتعد ولم يخرج عن ضفاف البحر المتوسط. والأحداث الجسام التي عرفتها القارة لم يصل صداها إلى العالم الخارجي إلا بعد الفتح الإسلامي لها.يرجع تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء إلى القرن السابع الميلادي، وفي هذه الفترة التاريخية المتقدمة لإسلام حمل التاجر المسلم دينه معه عبر رحلاته التجارية إلى ربوع مناطق إفريقيا السوداء.[11]

وقد ذكر المؤرخ الغربي برمنجهام بان انتشار الإسلام في القارة الإفريقية يتميز بأربعة فترات زمنية أو مراحل تاريخية متتابعة تمثل عمق انتشاره في القارة، كما أنها تمثل درجات مختلفة من حياة شعوب الإسلام، وهي، انتشار الإسلام عن طريق شمال إفريقيا من مصر غربا إلى المغرب(638م1050م)، وهذه المرحلة الأولى التي اندمج فيها الإسلام في حياة شعوب القارة الإفريقية. أما المرحلة الثانية ،والتي انتشر فيها الإسلام في نطاق السوداني(10501750م) عبر البحر الأحمر عن طريق شرق إفريقيا حيث انتشر إلى السهول في القرن الإفريقي والصومال، حيث ظهر الطابع الإسلامي في جميع الحالات السكانية، وهذه مرحلة الإسلام التقليدي في إفريقيا، ثم انتشار عبر الصحراء جنوب إلى شمال السودان (1300م .1500م)، ثم اتجه نحو الشرق، والمرحلة الأخيرة، وهي فترة تأسيس الممالك الإسلامية (1701. 1901م) وتميزت هذه الفترة بظهور الممالك في نطاق السوداني من غينيا و السنغال غربا إلى المهدية في السودان، وهنا اندمج الإسلام وقوانينه في أنماط الحياة الاجتماعية.[12]

تسرب الإسلام في غرب إفريقيا أو بلاد السودان الغربي بفضل تنقلات و هجرات القبائل العربية وقبائل البربر التي هاجرت إلى غرب القارة الإفريقية ، ومدت نفوذها هناك قبائل خصوصا قبائل بني هلال وسليم هذه القبائل التي اتجهت نحو الصحراء الكبرى باحثة عن ظروف تتشابه مع الحياة السائدة في بيئتها الأصلية. وبذلك تجد الأرض التي تعيش فيها وجعل منها مستقرا دائم لها.

---

6 آبي القاسم بن حوقل النصيبي ، **صورة الأرض**، منشورات اتجار المكتبية الحياة، بيروت، لبنان، 1996م ،ص 92

7 أبو إسحاق إبراهيم محمد الفارسي الاصطخري، **المسالك و الممالك**، تحقيق، محمد جابر عبد العلي، الحيني، القاهرة،1961م،ص ص،34-35

8 الهادي المبروك الدالي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا الغربية فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 1999م،ص،18.

9 احمد بن علي بن احمد القلقشندى،**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، **دار** الكتب العلمية بيروت1987م ، ص،95.

10 عبد القادر زبادية، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين(1493م-1591م)**، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ، ص ص،16.15.

11 عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 1988، م، ص،21.

12 سليمان خاطر، " إفريقيا الإسلامية" **مجلة الدراسات الإفريقية**، القاهرة، العدد الخامس، 1972م،ص،ص،226-227.

ونتج على هذا التحرك وتلك الهجرات أن اضطرت القبائل المحلية من البربر والزنوج إلى التوسع جنوبا بعد اعتناقها والدخول في الدين الإسلامي على اثر ذلك تحركت قبيلة جدال. [13] جنوبا، وعبرت نهر النيجر في طريقها إلى السودان الغربي. وكانت هذه القبائل حلقة وصل وربط بين المغرب بشعوبه وثقافته وعاداته وتقاليده، والمحيط الزنجي الذي يمتد حتى بحيرة تشاد. ولما تأسست دولة المرابطين في شمال إفريقيا كونت جبهة إسلامية قوية امتدت من غرب إفريقيا إلى بلاد المغرب و الأندلس وكان لها الفضل الكبير في انتشار الإسلام في هذه الجهات.[14]

وبداية دخول الإسلام في إفريقيا مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الفتوحات الإسلامية في مصر وشمال إفريقيا والأندلس ومرحلة الأولى من انتشار الإسلام تبدأ سنة**641**م عند وصول المسلمين إليها وتنتهي سنة1050 م ولذلك بانسياب الإسلام، وتسربه إلى أن وصل إلى مرتفعات الفوتاجالون بلاد التكرور قديما. وغيرها من المناطق الحيطة بها.

ومع بداية القرن التاسع الميلادي أصبح لدينا دليلا كافا على أن الإسلام صار الدين الرسمي على الأقل لإحدى ممالك غرب إفريقيا، وكانت تلك المملكة هي إمبراطورية اودغشت الإسلامية التي بلغت ذروتها وقواتها وعظمتها خلال القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين وقامت بدور كبير في الدعوة إلى الإسلام، جنبا إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين السودان وشمالي إفريقيا عبر الصحراء ولعبت سلعة الملح دور كبير في التجارة الخارجية بين دول شمال القارة وغربها.[15]

ويذكر ابن حوقل حول أهمية الملح كسلعة هامة ويقول» وحاجة ملوك السودان إلى ملوك اودغشت ماسة من اجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام.... وملك اودغست يخالط مللك غانة».[16]

ويعتبر إسلام الملك الذي حكم مملكة غانة ما بين 961م- 971م ، وجهوده و جهود غير من ملوك إمبراطورية اودغشت الإسلامية كان لها أثرها لاشك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادي عشر. فمن البديهي أن إسلام ملك التكرور لم يأت فجأة بل كان نتيجة الوجود الطويل للإسلام في شمال المنطقة، ولكن مطلع القرن الحادي عشر الميلادي يمثل عنصرا هاما في اتساع رقعة انتشار الإسلام وخاصة بعد إسلام ورجاني بن رابيس حوالي 1040م مللك التكرور الذي يمثل إسلام أول عائلة في أقصى الغرب من إقليم السودان و كان له الفضل في إسلام التكرور وأهل سلا Silla، و المسافة بين سلا و بين غانة عشرون يوما كما يقول البكري ومن ثم فان أعدادا كبيرة من سكان غانة.

2-انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:

يرى بعض مؤرخي الغرب، وخاصة النزهاء منهم إلى أن الإسلام هو الذي فتح باب التاريخ لإفريقيا السوداء. أما قبل الفتح الإسلامي، فتاريخ إفريقيا لم يبتعد ولم يخرج عن ضفاف البحر المتوسط. والأحداث الجسام التي عرفتها القارة لم يصل صداها إلى العالم الخارجي إلا بعد الفتح الإسلامي لها.يرجع تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا السوداء إلى القرن السابع الميلادي، وفي هذه الفترة التاريخية المتقدمة لإسلام حمل التاجر المسلم دينه معه عبر رحلاته التجارية إلى ربوع مناطق إفريقيا السوداء.[17]

---

13 قبيلة جدالة: إلى الجنوب من مضارب لمتونه تمتد صحراء تسير او ازواد إلى البحر المحيط، ثم تمتد جنوب نحو السودان، حيث تحتل قبيلة جدالة جنوب ذلك النطاق حتى مصب نهر النيجر، متخذة من مدينة اوليل مركزا لهان بحيث يكثر الملح التي تحمله القوافل إلى الشمال و الجنوب بصفة خاصة، وهي إحدى بطون قبائل الملثمين.عبد اللطيف دندش عصمت، **دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا**، دارا لغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م،ص،32.

14 عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو، 1989م، ص37.

15 دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، دار المريخ، الرياض، ط1، 1981م، ص،47.

16 نفسه 49

17 عمار هلال، **الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا السمراء**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، دط، 1988، م، ص،21.

وقد ذكر المؤرخ الغربي برمنجهام بان انتشار الإسلام في القارة الإفريقية يتميز بأربعة فترات زمنية أو مراحل تاريخية متتابعة تمثل عمق انتشاره في القارة، كما أنها تمثل درجات مختلفة من حياة شعوب الإسلام، وهي، انتشار الإسلام عن طريق شمال إفريقيا من مصر غربا إلى المغرب(638م1050م)، وهذه المرحلة الأولى التي اندمج فيها الإسلام في حياة شعوب القارة الإفريقية. أما المرحلة الثانية ،والتي انتشر فيها الإسلام في نطاق السوداني(1050.1750م) عبر البحر الأحمر عن طريق شرق إفريقيا حيث انتشر إلى السهول في القرن الإفريقي والصومال، حيث ظهر الطابع الإسلامي في جميع الحالات السكانية، وهذه مرحلة الإسلام التقليدي في إفريقيا، ثم انتشار عبر الصحراء جنوب إلى شمال السودان (1300م .1500م)، ثم اتجه نحو الشرق، والمرحلة الأخيرة، وهي فترة تأسيس الممالك الإسلامية (1701. 1901م) وتميزت هذه الفترة بظهور الممالك في نطاق السوداني من غينيا و السنغال غربا إلى المهدية في السودان، وهنا اندمج الإسلام وقوانينه في جوانب حياتهم الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية .)[18](

وتسرب لإسلام في بلاد السودان الغربي بفضل هجرات القبائل العربية وغير ها من البربر التي أتهجت نحو غرب القارة، الإفريقية وبسط ومدت نفوذها في تلك البلاد، وخصوصا قبائل بني هلال وسليم هذه القبائل التي اتجهت نحو الصحراء الكبرى باحثة عن ظروف تتشابه مع الحياة السائدة في بيئتها الأصلية. لتجعل منها مستقرا دائم لها وموطن ملائم ليعيش فيه.

ونتج على هذا التحرك وتلك الهجرات أن اضطرت القبائل المحلية من البربر والزنوج إلى التوسع جنوبا بعد اعتناقها الإسلام، فتحركت قبيلة جدال. [(19)] جنوبا، وعبرت نهر النيجر في طريقها إلى السودان الغربي. وكانت هذه القبائل حلقة ربط ووصل بين المغرب بشعوبه وثقافته وعاداته وتقاليده والمحيط الزنجي الذي يمتد حتى بحيرة تشاد. ولما قامت دولة المرابطين في شمال إفريقيا كونت جبهة إسلامية قوية امتدت من غرب إفريقيا إلى بلاد المغرب و الأندلس وكان لها الفضل الكبير في انتشار الإسلام في هذه الجهات.[(20)]

وبداية دخول الإسلام في إفريقيا مرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الفتوحات الإسلامية في مصر وشمال إفريقيا والأندلس ومرحلة الأولى من انتشار الإسلام تبدأ سنة**641**م عند وصول المسلمين إليها وتنتهي سنة1050 م ولذلك بانسياب الإسلام، وتسربه إلى أن وصل إلى مرتفعات الفوتاجالون بلاد التكرور قديما. وغيرها من المناطق المجاورة لها.

ومع بداية القرن التاسع الميلادي أصبح لدينا دليلا كافا على أن الإسلام صار الدين الرسمي على الأقل لإحدى ممالك غرب إفريقيا، وكانت تلك المملكة هي إمبراطورية اودغست الإسلامية التي بلغت ذروتها وقواتها وعظمتها خلال القرنيين التاسع والعاشر الميلاديين وقامت بدور كبير في الدعوة إلى الإسلام، جنبا إلى جنب مع تنشيط حركة التجارة بين السودان وشمالي إفريقيا عبر الصحراء ولعبت سلعة الملح دور كبير في التجارة الخارجية بين دول شمال القارة وغربها.[(21)]

ويذكر ابن حوقل حول أهمية الملح كسلعة هامة ويقول «وحاجة ملوك السودان إلى ملوك اودغشت ماسة من اجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام.... وملك اودغست يخالط مللك غانة».[(22)]

ويعتبر إسلام الملك الذي حكم مملكة غانة ما بين 961م- 971م ، وجهوده و جهود غير من ملوك إمبراطورية اودغست الإسلامية كان لها أثرها لاشك في دخول أعداد كبيرة في الإسلام قبل القرن الحادي عشر. فمن البديهي أن إسلام ملك التكرور لم يأت فجأة بل كان نتيجة الوجود الطويل للإسلام في شمال المنطقة،

---

[18] سليمان خاطر، " إفريقيا الإسلامية" **مجلة الدراسات الإفريقية**، القاهرة، العدد الخامس، 1972م،ص،ص،226-227

[19] عبد الرزاق إبراهيم عبد الله، **المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا**، سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليو، 1989م، ص37

[20] دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، المرجع السابق ، 47.

[21] دياب إبراهيم احمد، **لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث**، المرجع السابق ، 49.

[22] جمال زكريا قاسم **الأصول التاريخية للعلاقات الإفريقية** دار الفكر العربي، مصر،ط1، 1996م، ص،147.

ولكن مطلع القرن الحادي عشر الميلادي يمثل عنصرا هاما في اتساع رقعة انتشار الإسلام وخاصة بعد إسلام ورجاني بن رابيس حوالي 1040م ملك مملكة التكرور الذي يمثل إسلام أول عائلة في أقصى الغرب من إقليم السودان و كان له الفضل في إسلام التكرور وأهل سلا Silla، و المسافة بين سلا و بين غانة عشرون يوما كما يقول البكري ومن ثم فان أعدادا كبيرة من سكان غانة

. 1.2 انتشار الإسلام في غرب إفريقيا:(طرقه وسائله).

أ تعددت الأساليب وسائل في انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي ، وقلما نجدها متجمعة في مناطق محددة، فالفتوحات العسكرية كانت الحجر الأساس لانتشار الإسلام في فارس والمشرق العربي، وفي القوقاز كان للطرق الصوفية الدور الكبير في نشر الاستلام، أما فيما يخص غرب إفريقيا أو السودان الغربي، فقد اجتمعت عدة طرق دخل الإسلام بواسطتها إلى تلك البقاع الإفريقية. [23]

2.2 التجارة:

التواصل بين الشعوب العربية و الإفريقية قديمة قدم التاريخ. ويعتقد بعض الباحثين و المؤرخين آن هذه العلاقات تعود إلى أكثر من ألفي سنة، ومما يعزز هذا الاعتقاد أن إفريقيا، ومنطقة شبه الجزيرة العربية كانتا تمثلان رقعة أرضية واحدة. حتى انشطرت الأرض كجزء من الأخدود الإفريقي العظيم. وأصبح البحر الأحمر يفصل بين المنطقتين، ورغم وجود الحاجز المائي إلا انه لم يحل دون الاتصال البشري بين الشعوب، إلى جانب المنفذ تم التواصل بين المنطقتين عن طريق شبه جزيرة سيناء عن طريق باب المندب.

وقد أدى التشابه اللغوي والثقافي والعرقي بين السكان الناطقين باللغات الحامية ورصائفهم من الناطقين باللغات السامية إلى أن يرجح بعض الباحثين و الكتاب والمؤرخين أن شعوب هاتين المجموعتين قد سكنت مكان واحد، بل قد يكون ينتمون في أصولهم البعيدة إلى شعب واحد.[1]

زيادة على ذلك فهناك بعض المصادر السودانية الهامة تتكلم عن طرق الصحراوية، وهي عبارة عن النقوش والرسومات التي خلفتها الشعوب الصحراوية في فترات تاريخية متتالية. وقد تمت دراسة الكثير من تلك الآثار، فساعدت إلى حد كبير في تتبع طرق الصحراء، وارتباطاتها القديمة بالمراكز والشعوب الإفريقية على حوض نهري السنغال والنيجر.[24]

غير أن العهد المزدهر للطرق التجارية في إفريقيا جنوب الصحراء يبدأ بدخول الإسلام في شمال إفريقيا حيث استقر المسلمون في المغرب العربي إبان القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وكثفوا علاقاتهم واتصالاتهم بجنوبي الصحراء ما بين حوض بحيرة تشاد شرق والمحيط الأطلسي غربا وهي المنطقة التي ركزت عليها في هذه الدراسة وخاصة نيجيريا بمفهومها الحالي وقد ودونت لنا كتب التراث العربي معلومات كثيرة عن هده المنطقة اذ تعتبر من المصادر الأساسية والهامة لدراسة الطرق التجارية وعلاقاتها بالمغرب العربي وحوض البحر المتوسط. ا.[25]

3.2 دور اللغة العربية في انتشار الإسلام في غرب القارة:

للغة العربية أهمية كبيرة ودورا هام في بلاد السودان الغربي ، ولها تاريخ قديم في هذه الرقعة من القارة الافريقة . عبرت الثقافة العربية الصحراء الكبرى من شمال إفريقيا إلى غربها. بسب التواصل التجاري بين إفريقيا وسكان غربها.[26] وكانت هذه التجارة، نقطة انطلاقا للغة العربية وآدابها في غرب إفريقيا، ومن هنا بدا التجار المنطقتين يستخدمون اللغة العربية في البيع والشراء، وبمرور الزمن بعض الكلمات العربية في

---

[23] محمد علي رجب، **انتشار الإسلام في إفريقيا**، دار التعليم الجامعي ، الإسكندرية، القاهرة، ط1 ،2015م،ص، 107.

[24] احمد اليأس حسين، " طرق القوافل عبر الصحراء و الممالك الإفريقية في جنوبي الصحراء الكبرى في المصادر العربية في القرن السادس الهجري العاشر الميلادي" **مجلة الدراسات الإفريقية**، العدد الثاني، شهر ابريل 1986م، ص،107.

[25] محمد علي رجب، **انتشار الإسلام**، المرجع السابق، ص،112.

[26] عبد الرحيم عيسى الأول، **الكشاف في الأدب العربي للمدارس الثانوية بغرب إفريقيا**، مطبعة فاتا برم، ط1، لاغوس، نيجيريا، 1999م، ص،175

اللغة المحلية وذلك لكثرة استعمالها وخاصة بعد انتشار الإسلام، ولقد ارتبطت الدعوة لدين الإسلام في بلاد السودان الأوسط و الغربي، حتى الشرقي ، كما في غيرها من مناطق القارة، باللغة العربية لغة القران والعلوم الإسلامية، وسار الإسلام واللغة العربية جنبا إلى جنب مع الجهاد في نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية.[27]

و يمكن القول أن هذه العلاقات التجارية بين العرب وغربي إفريقيا التي بدأت في القرن السابع الميلادي وازدهرت بعد القرن الحادي عشر، فكانت للغة العربية الأولوية في هذه العلاقة، فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة يتخاطب بها التجار في مبادلاتهم التجارية. وبما أن اللغة العربية كانت أرقى اللغات المحلية، فمن الطبيعي تكون اللغة المستعملة في ذلك الزمن. ومن الطبيعي أيضا أن يلتقطها التجار الأهالي من إخوانهم العرب وينشرونها فيما بينهم، وهذه العلاقة التجارية إذن هي التي وضعت اللبنة الأولى للغة للعربية في إفريقيا العربية. وبدا التجار يستعلمون كلمات وتعابير ومفردات عربية في تلك المناطق، مما أدى ذلك انتشار لكلمات العربية بشكل تدريجيا حتى تدخلت و توغلت في القارة الإفريقية، واندمج بعضها في اللغات المحلية.. وأصبح سكان المنطقة يتعاملون بها.

ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة في بعض اللغات الإفريقية مثل لغتي الهوسا والفولاني وخاصة أسماء البضائع التي كانت تصدر إليها من المغرب في تلك القرون الغابرة[28]وقد عبر المؤرخ الانجليزي توماس ارلوند عن انتشار اللغة العربية في إفريقيا(أن اللغة العربية وهي لغة الديانة الإسلامية قد بلغت تطور يفوق كل الوصف)، فقد أضحت لغة التخاطب في عدد من أقطار القارة.[29]

ويعبر عن ذلك المؤرخ الغربي ديشان في مسالة تطور وانتشار اللغة العربية بقوله:" ولم تكتف قبائل الممالك الإفريقية بدخول الإسلام، بل طبعت بطابع عربي بسب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد.[30]

وما يؤكد قوة حضور اللغة العربية في إفريقيا أن لها وقعا واضحا في لغات تتحدثا شعوب لا يشكل المسلمون منها إلا نسبة ضئيلة فعلى سبيل المثال نجد المسلمين اليوم في جزيرة مدغشقر لا يمثلون إلا نسبة 7.6% أن الشواهد تؤكد قوة اللغة العربية في الملغاشية وفي المصطلحات التجارية، وغيرها من المبادلات الأخرى.[31]

أما صلة اللغة العربية بلغات الفولاني والهوسا والسواحيلية، وغيرها من اللغات المحلية الإفريقية، فهي صلات وثيقة جدا، فالسواحيلية استعارات مجموعة من المفردات العربية ب. [32] وظل الحرف العربي هو الأساس الذي تكتب به معظم اللغات الإفريقية مثل الفولانية و الهوسا ، وغيرها من اللهجات المحلية الأخرى حيث ظلت حتى عهد قريب تكتب بالحرف العربي، و هناك مخطوطات عديدة مكتوبة بهذه اللغات محفوظة في عدد من خزائن الكتب في البلاد الإفريقية[33] ،حيث تعتبر مخطوطات جامعة إبادان من أقدم مجموعات المخطوطات الإسلامية في نيجيريا ،إذ يرجع تاريخها إلى عام 1945م.

وتأتي معظم محتوياتها من سوكوتو و الإمارات المحيطة بها والتي تحمل مؤلفات زعماء هذه الخلافة.كما يوجد عدد من المخطوطات ،والتي جمعت من الإمارات الأخرى مثل إمارة اليوروبا،والتي عادة ما تكتب بالحروف العربية وهي بالتأكيد مجموعة قيمة تغطي عددا متنوعا من الموضوعات حول الإسلام والتاريخ والطب وعلم الاجتماع والعقيدة والفقه والتعليم... وعلى سبيل المثال مخطوط للمؤلف عثمان بن محمد فوديو (تمييز المسلمين من الكافرين المحفوظ تحت رقم **82/528** ومخطوط للمؤلف عبد الله بن محمد فودي بن عثمان(اللؤلؤ المصون في صدف قواعد العيون محفوظ تحت رقم **82/11**).[34]

---

27 المرجع السابق ، ص، 176.

28 احمد العراقي السر سيد، " انتشار اللغة العربية في بلاد افريقية عبر التاريخ" **مجلة دراسات افريقية**، العدد الأول، ابريل،1985م،ص،102

29 توماس ارنولد، **الدعوة إلى الإسلام**، ترجمة حسن إبراهيم حسن، دار مكتبة النهضة المصرية،ط3، 1970م،ص،11.

30 ديشان هوبير، **الديانات في إفريقيا السوداء**، ترجمة احمد الصادق، و مراجعة محمد الله دراز، المركز القومي لترجمة و المصدر السابق ص،132.

31 المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص،169.

32 *عبد الرحمان احمد عثمان، **المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية**، دار العالمية للطبع و النشر، الخرطوم ، السودان، 2001م،ص*،50.

33 علي محمد رجب، المرجع السابق، ص،131

34 محمد بابا يونس، **فهرس مخطوطات مكتب جامعة إبادان نيجيريا**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن،2001،ص ص ،3،5.

تعتبر لغة شعوب الهوسا من أكبر اللغات الإفريقية وأكثرها انتشارا بعد اللغة العربية، فهي منتشرة في نطاق واسع من غرب إفريقيا حيث تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى جمهورية السودان شرقا وإلى الحدود الجماهيرية العظمى(ليبيا) والجزائر شمالا وتظم جمهورية تشاد و النيجر و التوغو والكاميرون و غانا... و نتيجة لانتشارها الواسع صارت لغة التفاهم هذه المناطق إضافة لذلك أن شعب الهوسة على درجة كبيرة من الرقي الحضاري وأكثرهم يقطنون المدن، فكانوا في أمس الحاجة إلى استعارة أكثر الكلمات التي تعبر عن الحضارة و العمران.[2]

ويرتبط العهد الزاهر في اللغة العربية والعلوم الإسلامية في غرب إفريقيا بعهود الإمبراطوريات والمماليك الكبرى والسلطنات التي نشأت بالمنطقة مثل غانا ومالي وبرنو و غيرها من الممالك التي استخدمت اللغة العربية كلغة رسمية في شتى الأغراض و المجالات من إدارة وقضاء وحكم، ثم لغة المكاتبات الرسمية بين هذه المماليك وبين العالم الإسلامي الخارجي ، ووجد في الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية لمخاطبة ملوك تلك البلاد من تصدير المكاتبات بها.[35]

يتضح عن هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة الدولية في العصور الوسطى في جميع البلاد الإسلامية واستمرت حتى قيام الخلافة السوكونية التي أسسها الشيخ عثمان فوديو في بداية القرن التاسع عشر حتى مطلع القرن العشرين، فكانت اللغة العربية لغة الدين والثقافة والتجارة وحتى المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات.[36]

3ـ دور الطرق الصوفية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا:

نشأت الصوفية والتصوف خلال عهود متقدمة في تاريخ الإسلام ولا شك أن هدف الصوفيين منذ البداية كان يتمثل في التعبد والورع والتنزه عن حطام الدنيا كما يقول الصوفيون، وبهذه الصورة استطاعوا أن يلحقوا و يدرجوا الحركة الصوفية ضمن مفاهيم الإسلام ، و قد التصقت بالحركة الصوفية أثناء العهدين العباسي والعثماني بصورة خاصة كثيرا من البدع و الخرافات مما جعل بعض المصلحين و في مقدمتهم الإمام عبد الحميد بن باديس بالجزائر والإمام محمد بن عبد الوهاب بالجزيرة العربية إلى اعتبار الأفعال و الأقوال التي يقوم بها بعض الصوفيين يتبنونها خارج نطاق الإسلام.[37]

وفي لإفريقيا جنوب الصحراء كان للطرق الصوفية دورها الكبير لدرجة أن جميع الأفراد كانوا لا يزولون يربطون إسلامهم بالانتساب إلى إحدى الطرق الصوفية، وسبب ذلك أن الإسلام قد وصل إلى إفريقيا جنوب الصحراء بواسطة رجال الصوفية، ومن هنا أصبح من العادة إن يكون الفرد الإفريقي إلى الجنوب من الصحراء فقط مسلما قادريا أو تيجانيا أو مسلما سنوسيا، ولكن من غير العادة في الغالب أن يكون مسلما غير منتسب لإحدى الطرق المعروفة أو الطرق الصغيرة المتفرعة عنها.

وفي هذا المجال لا نستطيع أن نتجاهل الدور الذي قامت به الطرق الصوفية في نشر الإسلام في غرب إفريقيا صفة عامة وبلاد الهوسا بصفة خاصة، وأهم الطرق التي ساهمت بدور ملموس هي كل من الطريقة القادرية والطريقة التيجانية والطريقة السنوسية.

يرتبط معظم السودانيين في غرب إفريقيا برجال الدين بواسطة إحدى الطريقتين القادرية و التيجانية، ولقد كان انتشار هاتين الطريقتين، ولاسيما التيجانية في أثناء القرن التاسع عشر الميلادي.[38]

1.3 القادرية:

---

35 عبد الفتاح محمد الغنيمي ، "اثر اللغة العربية في الشعب الفولاني و الهوسا"، **مجلة الفيصل**، العدد ،98، السنة السادسة، ديسمبر،1982م، ص،79.

36 إبراهيم طرخان، " الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي و الأوسط ، **مجلة ام درمان الإسلامية**، العدد الثاني،1969م ،ص 38,

37 ا حمد العراقي السر سيد، المرجع سابق، ص،103.

38 عبد القادر زبادية، **دراسة عن إفريقيا جنوبا الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين** ،ديوان المطبوعات الجامعية،2010م، ص،224

تنتسب هذه الطريقة إلى الشيخ عبد القادر بن موسى بن عبد الله الجيلاني الذي ولد بمدينة جيلان وهي تقع إلى الجنوب من بحر قزوين (471هـ /1078م).[3] ثم انتقل إلى بغداد سنة **488**هـ وله من العمر 18سنة وهي نفس السنة التي تخرج فيها أبو حامد الغزالي إذ تتلمذ الشيخ الجيلاني على يد كبار الشيوخ و اتصل بعلماء الفقه و لتصوف و برز في أساليب الوعظ و تفقه و سمع الحديث و قرأ الأدب، كان الشيخ عبد القادر كريم الخلق جليل القدر ، مهيبا لدى الحكام لم يلم قطا لباب ولا سلطان ولا ملك ولا وزيرا و كان على الهمة شيخا مؤثر الغيرة رحيما رحب الصدر جميل القلب. وقد اتفق المؤرخون على كثرة كرماته،يقول العز بن عبد السلام:"انه لم تتواتر كرامات أحد م المشايخ إلا الشيخ عبد القادر فإن كرامته نقلت بالتواتر".[39]

ومات الجيلاني عام 1166م ودفن ببغداد وقد انتشرت طريقته في السودان الأوسط وزحفت إلى بلاد الهوسا وأصبحت أكثر معتنقيها من الفولانيين وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي.

دخلت الطريقة القادرية إلى إفريقيا الغربية في القرن الخامس عشر على أيدي مهاجرين كانوا قد اتخذوا من توات مركز لهم، ثم امتدت إلى تمبكت، ولم يمض زمن طويل حتى أعجب سكان إفريقيا الغربية بالدعاة القادرين والفقهاء الذين كانوا يبنون المدارس، ويشرفون عليها، وكان نشاطهم يعتمد على الإرشاد والنصح والتمسك بالفضيلة و البعد عن الرذيلة.[40]

وما أن جاء القرن التاسع عشر حتى كانت السيطرة الروحية والفكرية للجماعات القادرية في أكثر نواحي إفريقيا الغربية، مما ساعد على تحول جماعات كثيرة إلى الدين الإسلامي ومن أشهر قادة القادرية في إفريقيا سيدي أحمد البكاي الذي عاش في القرن الخامس عشر ميلادي و ولعب دورا كبير في نشر الدعوة في الجزء الغربي من الصحراء الكبرى وتعرف طريقته بالطريقة البكائية، و قد ازدهرت في إفريقيا، و منهم محمد عبد الكريم التلمساني الذي اتجه بجهوده إلى الجزء الأوسط من الصحراء من بلاد الهوسا و الشيخ السيد التأرازي الذي عمل على نشر القادرية في غامبيا و غينيا و ساحر الذهب، وتعتبر الطريقة القادرية من الطرق الرئيسية في دولة سكوتو.[41]

2.3 التيجانية:

تنتسب هذه الطريقة الى مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد المختار بن سليم التيجاني، وهو فقيه جزائري ولد بعين ماضي الواقعة على مقربة مدينة الأغواط في الوسط الغربي من مدينة الجزائر و تنتسب عائلته إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ، حيث درس احمد التيجاني في البداية في مدينة عين ماضي فتلقى ما تيسر له من المبادئ في العلوم وخاصة منها اللغوية والفقهية و حفظ القرآن و في عام 1753م[42] انتقل إلى مدينة فاس التي كانت عاصمة شهيرة بالعلم والثقافة في ذلك الزمن وواصل دراسته فيها لعدد من السنين، ذهب بعدها إلى مدينة البيض غرب الجزائر حاليا التي كان بها عددا من الأئمة و الوعاظ، فمكث بها خمس سنوات ، وبعدها انتقل إلى مدينة تلمسان التي كانت في ذلك الوقت تنافس مدينة فأس في العلم والثقافة.

وفي عام 1773م. أخذ طريقه لزيارة مكة المكرمة و المدينة المنورة فاستغرقت هذه الزيارة بضعا من السنين و من مكة عاد إلى القاهرة إذ انضم إلى الطريقة الخلواتية التي تنتسب إلى كريم الدين الخلواتي المصري و لكن التيجاني سرعان ما اتخذ لنفسه اتجاها جديدا ضمن الطريقة الخلواتية ، مما جعل بعض الباحثين يرى أن الطريقة التيجانية فرع من الخلواتية ، ثم اتخذ التيجاني مدينة فاس مقرا له ينشر منه طرقته التيجانية، ومن هنا رأت طريقته انتشارا كبيرا و أصبح لها ممثلون في كل البلاد الإسلامية تقريبا، توفي احمد التيجاني عام 1818م.[43]

وقد سلكت الطريقة التجانية نفس الطريق الذي سلكته مثليتها الطريقة القادرية التي سبقتها في الظهور، واتخذت من الجسر الذي أقامته هذه الأخيرة من العالم الإسلامي و غرب إفريقيا معبرا من المنطقتين و قد نظر إليها الناس بعين ملأها الرضا خلال القرن الثامن عشر و

---

39 الهام محمد علي الذهبي، **جهاد الممالك الإسلامية غي غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي(1850–1914)**، دار المريخ، الرياض،1988، ص،30.

40 عبد القادر بن أبي صالح سيدي الجيلاني، **الفتح الرباني والفيض الرحماني** ،المكتبة العصرية، بيروت،2004،ص،11.

41 محمد علي رجب، المرجع السابق،ص،203.

42 نعيم قداح، حضارة **الإسلام وحضارة أوروبا في إفريقيا الغربية**، الشركة الوطنية لنشر و التوزيع، الجزائر،ط1974،2،ص،89.

43 علي حسين الشطشاط،،**دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار قباء للطباعة، القاهرة،2001م،ص،204.

ذلك لأنها خلافا لبعض الطرق الصوفية الأخرى ، وعرف عن الطريقة التجانية بتعاليمها البسيطة السمحة و مذهبها البسيط و الواضح الذي كان قريبا جدا من تفكير الشعب الذي كان سائدا آنذاك في جميع العالم الإسلامي[44]

وظهرت الطريقة التيجانية في السودان الغربي على يد الحاج عمر الفوتي الذي كان أبوه من المرابطين وقامت على أساليب القادرية في الدعوة، وساعدت كثرة المدارس التيجانية على نشر تعاليمها و مبادئها التي كانت متأثرة بتعاليم القادرية و المرابطين، و في سنة 1841م بلغ الحاج عمار(جبال الفولتا جنوبا) و بدأت سلسلة من الحملات لنشر تعاليم التجانية بين القبائل التي لا تزال على الوثنية و التي كانت تقيم حول النيجر الأعلى و السنغال و بظهور حركة الحاج عمر بلغت التجانية أقصى انتشارها في غرب إفريقيا السوداء و ذلك باستثناء بعض المناطق التي بقيت بعيدة عن تأثيرات حركته مثل شمال السنغال و موريتانيا التي اتخذت القادرية معقل لها.

أما الدور الذي لعبته في غرب إفريقيا السوداء فقد اختلف تماما عن الدور الذي قامت به في الجزائر في نفس الفترة تدهورت أوضاعها من جميع النواحي بينما ازدهرت أوضاعها في السودان الغربي و ظهرت بمظهر القوة والتأثير في جميع أوساطها الإفريقية، و إذا كان دورها السياسي في الجزائر يكاد لا يذكر ففي غرب إفريقيا السوداء لعبت دورا مهما لا يستهان به و ما يدل على ذلك قيام عدة دول افريقية محلية تبنى زعمائها الطريقة التجانية [45]

4ـ دور الدعاة والفقهاء في نشر الإسلام في غرب إفريقيا:

إن الاهتمام الأول للدعاة كان منصبا على الدعوة للدين الحنيف، حيث قاموا بتثقيف وتعليم الناس بأمور دينهم ودنياهم، وشرح ما يستوجب شرحه لهم، وأنشأ بعضهم المدارس والمساجد، وكثيرا ما كانوا يختارون الطلاب المميزين لإرسالهم إلى المعاهد الإسلامية الشهيرة في المشرق والمغرب ليتتلمذوا وينهلوا العلم على أيدي كبار علماء مكة الأزهر والقيروان والزيتونة وطرابلس وفاس ومكناس وتلمسان، وغيرها. من المراكز الشهيرة، ويعودوا قادة للفكر في يحملون راية نشر الإسلام والثقافة الإسلامية. [46] ومن أهم الدعاة والفقهاء الذين كان لهم الدور في نشر الإسلام في غربا إفريقيا احمد بابا التمبكتي . والذي يعتبر من أشهر علماء مدينة تمبكت في القرن السادس عشر.، إذ كان عالما موسوعيا مؤرخا عالما بأمور الشريعة الإسلامية بعلوم الفقه وأصول و الحديث و وهو من الضالعين و المتمكنين و العارفين باللغة العربية وآدابها، ويذكر مترجموه انه ألف ما يزيد على أربعين كتابا.[47]،

والشيخ و العلامة احمد بابا التنبكتي من الذين كان لهم الفض ل الكبير في نشر الثقافة العربية الإسلامية و اللغة ، ومن الذين ساهموا في نشر الإسلام في منطقة السودان الغربي وكانت له علاقة التأثير والتأثر بين بلاد المغرب وبين بلاد السودان الغربي، فتتلمذ على يد كثير من طلاب المغرب الكبير سواء من الجزائر او المغرب او من خارجه وفي الأخير رحمه الله هذا العالم الجليل وجزاه الله على ما ترك لنا من علما تنتفع به الأمة الإسلامية والعربية. وكذلك الشيخ عبد الكريم الميغلي الجزائري وهو ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني. وقد عاش الرجل في فترة كانت الحاضرة العلمية تلمسان تتخبط في مشاكل وأحداث واضطرابات سياسية خطيرة داخليا وخارجيا، ولسنا في صدد الحديث عن هذه الأوضاع والصراعات التي كانت قائمة بين الأمراء والسلاطين وبين العرش و السلطة وغيرها من هذه النزاعات في تلك المرحلة. وقد تتلمذ على يد الشيخ كثيرون في مدن غرب افريقيا وخاصة المدن النيجيرية مثل مدينة كانو ، وكاستينا، ومن أشهر طلابه الذين برزوا و أسهموا في نشر الثقافة الإسلامية العربية الشيخ العاقب بن عبد الله الأنسمني الاغدسي، وقد ترجم له الشيخ احمد بابا التنمبكتي في نيل لابتهاج، وقال عنه: انه فقيه نبيه ذكي الفهم حاد الذهن ، وقاد الخاطر مشتغل بالعلم ، في لسانه حدة له تعاليق من

---

[44] عبد القادر زبادية، **دراسات**.... المرجع السابق، ص،233.

[45] عمار هلال 46،المرجع، السابق،ص ص122-123.

[46] 45 Trimngham,J,speacer,A. **History of Islam in West Africa** ,Oxford university1970 ,Press,pp.31-6

[47] احمد شلبي: **موسوعة التاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية** ،ج10، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط6 ،1998م، ج6، **الإسلام و الدول الإسلامية جنوب الصحراء الإفريقيةمنذ دخلها/الإسلام حتى الآن** ،ص،219

أحسنها تعليقه على قول خليل« وخصصت نية الحالف » ن وقد اختصر الشيخ احمد بابا هذا التعليق وسماه (تنبيه الواقف على تحرير وخصصت نية الحالف).[48]

وقام الشيخ بدور في حياتها السياسية و الثقافية و الاجتماعية، وبعد إقامة طويلة في بلاد الهوسا انتقل الشيخ المغيلي إلى بلاد التكرور بفولتا العليا شمال السنيغال غرب بلاد غانة القديمة، ثم اتجه صوب مدينة غاو عاصمة مملكة سنغاي ، والتقى بأميرها الأسقيا محمد الكبير الذي حكم من عام 1493 إلى غاية **1528**م، وحج عامي 1499-1500من وعند عودته وجد قواته العسكرية قد ضمت إلى مملكته بلاد الكابي شمال نيجيريا الحالية بين مملكة برنو، ومملكة سنغاي.[49] ، وترك المغيلي بعد وفاته انتاجا فكريا غزيرا في ميدان التأليف ما يزال الكثير منه مخطوطا ومحفوظا لدى تلاميذه و المتشيعين له من الأسر الإسلامية في بلاد السودان الغربي. وقد كان للمغيلي دور هام في نشر ودعم مفاهيم الإسلام في بلاد الهوسة، ورسائله التي وجهه إلى أبي عبد الله محمد بن يعقوب سلطان كانوا دليلا على ما كان له من بصيرة نافذة وجرأة في مواجهة أي انحراف وباطل والتصدي له بالإصلاح لقد كان الإمام المغيلي من المحافظين على سلامة العقيدة والمجتمع.

الخاتمة:

وخلاصة القول لقد تعاقبت الهجرات العربية الإسلامية على إفريقيا جنوب الصحراء أو غربا إفريقيا، وأظهرت هذه القبائل قدرات عالية في التأثير على المجتمعات الإفريقية الزنجية التي اختلطت بها وسكنت معها.جنب إلى جنب وبرز عدد من القادة المسلمين سواء كانوا من العرب والبربر أو أهل السودان أنفسهم.

و كان لهم دور كبير في نشر دين الله في هذه الأوطان. وكذلك العلماء الذين أسهموا في نشر الثقافة العربية الإسلامية و اللغة العربية و العادات و التقاليد العربية الإسلامية خاصة في عهد مملكة سنغي هو الشيخ محمود بن كعت المؤرخ المشهور صاحب كتاب (تاريخ الفتاش) وهو كتاب يؤرخ للمملكة سنغي وفي مراحلها وتكوينها وبعض الممالك التي سبقتها مثل مملكة مالي وكان المؤلف تكلم عن وزراء الحاج محمد الاسيكا وهو ومن الذين صاحبوه في رحلة الحج المشهورة وكذلك لا نسى المؤرخ المشهور عبد الرحمن السعدي صاحب كتاب(تاريخ السودان) وهو من مشاهير المؤرخين الذين يؤرخون لدولة سنغاي في أوج اتساعها، وكذلك من العلماء الذين كان لهم ساهم كبير في الثقافة العربية الإسلامية الشيخ احمد فورتو البرنوي، الذي كان معاصرا للسلطان إدريس ألوما سلطان مملكة البرنو (1570-1603م)،وله كتاب في تاريخ مملكة برنو وملكها ، وأخر في حروب سلطان إدريس ألوما، وسيرته، ويعد الكتابان مصدرين مهمين في دراسة مملكة كانم برنو في القرن السادس عشر الميلادي.

وقد تمكنت هذه الممالك من نشر الإسلام ونقل الحضارة الإسلامية، وأدت دورا بارزا في تاريخ المنطقة في جوانب مختلفة الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، حتى إن العصور الوسطى في إفريقيا أضحت عصورا ذهبية على عكس الحال في أوروبا التي كانت في عصورا مظلمة.[50]

وبالنظر للتاريخ هذه الإمبراطوريات و الممالك وسلطنات اذ يظهر جليا أثر العرب والمسلمين في نقل الحضارة الإسلامية ونشر قيمها ، ومبادئها القائمة على العقيدة الإسلامية ، وكذلك التعليم والتقاليد الإنسانية المنطلقة من التصور الإسلامي للحياة، وهو أمر له أثره الواضح في نشأة هذه الممالك. التي شهدتها القارة السمراء من بدايات ا العصر الوسيط وصولا حتى الفترة المعاصرة.

كان محمد بلو عثمان بن فودي، والذي يعتبر من الشخصيات الفاعلة في تاريخ السودان الغربي بما له من بصمات بارزة فهو من المراجع الأساسية لتاريخ الجهاد في بلاد التكرور، اشهر علماء تلك المرحلة وما قبلها، من أشهر مؤلفاته (اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور) كما كتب الشيخ محمد بلو في الطب النبوي والطب الحديث بمعاير عصره. لقد قاد الحركة العلمية والأدبية وهو من سبقوه من أمثال عثمان دان فودي، رغم انشغالاتهم

---

48 مخزوم عطية، **دراسات في تاريخ شرق إفريقيا، وجنوب الصحراء(مرحلة انتشار الإسلام)**، منشورات جامعة بنغازي ، بنغازي،ط، 1، 1998م ، ص،105.

49 أبي عبد الله لطالب محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي الولاتي، **فتح الشكور في معرفة أعيان بلاد التكرور**، تحقيق، محمد إبراهيم الكتاني، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة، والنشر، ط1، 1981م،ص،36

50 يحي بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**، دار هومة، للطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر،ط2001،1م، ص ص،69-70.

بالحركة الجهادية. كما كان للعلماء الذين رافقوا الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ـ المذكور أنفا أو اتبعوا أثره إلى بلاد الهوسا خلال العقد الأخير من القرن الخامس عشر الفضل في إنشاء الحركة العلمية في تلك البلاد.

فمع بداية القرن السادس عشر بدأت دوائر صغيرة للعلماء المحلين في النمو والازدهار حتى أضحت مراكز جذب للمهاجرين من الأقاليم الإسلامية الأخرى. وبالأخص مملكة كانم برنو وشمال إفريقيا ومصر. فهؤلاء العلماء المهاجرون لبلاد هوسا يمثلون في الحقيقة النواة الأولى التي اندلعت منها حركة الفكر والأدب بالغة العربية في هذه البلاد والتي استمرت في النمو والتطور إلى أن انتهت بما سميت بالثورة الفكرية التي صاحبت حركة الجهاد وقيام الخلافة الصكنتية في العقد الأول من القرن التاسع عشر.[51]

وأخير يمكن ان نستخلص أن كل من التجارة وعلاقات التجارية والهجرة البربرية ودور الطرق الصوفية على اختلافها والحركات الإصلاحية ودور الفقهاء المغاربة او أبناء القارة السمراء أنفسهم والدور الذي لعبته اللغة العربية وكل هذه الوسائل ساعدت على نشر الإسلام في هذه البقاع وأصبحت بفضل الله ثم بفضل هؤلاء بقاع إسلامية.

وخير دليل اليوم عن تواجد الإسلام ما تشهد جامعة ابادن النيجيرية من تطور في العلوم الإسلامية، وما تحتويه مكتبتها من مجموعة مخطوطات إسلامية يرجع تاريخها إلى سنة 1945م، وتأتي معظم محتويات هذه المجموعة عن سكوتو والإمارات المحيطة بها ومؤلفات أدبية وسياسة وثقافية، وبها خزانة مكتبة جامعة ابيادان أقدم مجموعة عمومية للمخطوطات العربية في نيجيريا، والتي تأسست عام 1900م والتي تتضمن مخطوطات لأهم مؤلفات علماء نيجيريا شمالا وغربا من القرنيين الثالث عشر والرابع عشر للهجرة. وأضحت جامعة ابيادان منارة إسلامية في نيجيريا. وكذلك ما تحويه اليوم جامعة ادرار في الجزائر من كتب قيمة ومخطوطات تعبر عن ذلك التواصل الذي كان بين الشمال و الجنوب وما فعله الدين الإسلامي و مع اللغة العربية من تطوير و ازدهار لتلك الشعوب يضف إلى ذلك ما تحتوي عليه دولة مالي من مكتبات تحتوي كثير من الرسائل و مخطوطات التي كتبها العلماء و الفقهاء وكذلك التجار وكلها تعبير عن مدى عمق هذا الدين وانتشاره في أواسط المجتمعات الإفريقية. و في الأخير نقول أن الدور الذي لعبه الدين الإسلامي في هذه الشعوب الإفريقية دورا كبير يتعرف به أهل هذه المناطق أنفسهم عكس ما قام به الأوروبيون من استعمار و تدمير.

---

[51] احمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، ج2، تحقيق، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2004م، ج2،ص،218.